

التوسّل وصلته بالتوحيد

تأليف: حسين رجبي
ترجمة: أسعد الكعبي

بسم الله الرحمن الرحیم

التوسل وصلته بالتوحيد

كاتب:

حسين رجبی

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

التوسل وصلته بالتوحيد

اشاره

سرشناسه : رجبی ، حسین ، ۱۳۳۷ -

عنوان قراردادی : توسل و رابطه آن با توحید .عربی

عنوان و نام پدیدآور : التوسل وصلته بالتوحید/ تالیف حسین رجبی؛ ترجمه اسعد الکعبی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر ، ۱۴۳۴ ق. = ۱۳۹۲.

مشخصات ظاهری : [۶۸] ص. ؛۱۶/۵×۱۱/۵س م.

شابک : ۷۵۰۰ریال : ۹-۴۱۶-۵۴۰-۹۶۴-۹۷۸

وضعیت فهرست نویسی : فاپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : توسل

موضوع : وهابیه -- دفاعیه ها و ردیه ها

شناسه افزوده : کعبی، اسعد، ۱۳۴۹ -، مترجم

رده بندی کنگره : BP۲۲۶/۶ /ر۳ت۴۳ ۹۰۴۳ ۱۳۹۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۴

شماره کتابشناسی ملی : ۳۰۲۰۶۷۸

ص: ۱

اشاره

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

كلمه المعهد

من الأمور البـديهيه اتّخاذ الواسـطه أو الوسـيله عنـد البـشـر لأجل الحصول على أهداف ماديه أو معنويه، وقد أشار المولى تبارك و تعالى فى القرآن الكريم إلى أنواع من الوسائط الماديه والمعنويه، وبالخصوص المعنويه منها، حيث أمر باتّخاذ الوسيله إليه، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَهَ (المائده:۳۵

ثمّ إنّ أفضل الوسائل لغفران الـذنوب، التوسّل بالرسول الأكرم محمّد۹، قال تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً (النساء:۶۴)

ولقد توسّل المسلمون على مرِّ التأريخ الإسلامى بذات الله

ص: ۶

المقـدّسه إلی أن ظهر ابـن تیمیـه الحرانی الحنبلی فی القرن الثـامن، وتبعـه محمّـد بـن عبـدالوهاب فی القرن الثـانی عش-ر، و حرّما التوسّـل، وقالاـ إنّ التوسّـل بالأنبیاء والأولیاء معارض للتوحیـد، وبَـدَءا یهاجمان المسـلمین علی هـذا العمل، ولکن فی المقابل عارض المفکرون والمحققون والعلماء المسلمون هذه الفکره علمیاً وثقافیاً، فبیّنوا مفهوم ومعنی التوسّل وعدم معارضته للتوحید.

عزیزی القـارئ، هـذا الکـتیب الماثـل بین یـدیک قـام بتـدوینه المحقق المحترم والأسـتاذ الجلیـل حسـین رجبی (زیـدعزّه) حول هـذا الموضوع باللغه الفارسیه، ثمّ قام بتعریبه الأخ الفاضل العزیز أسعد الکعبی (دام توفیقه) .

وأخیراً یتقدّم معهد الحج والزیاره بجزیل الشـکر والامتنان للجهود المضنیه التی بذلها المؤلّف العزیز والمترجم الفاضل، ولجمیع الذین ساهموا فی إنجاز هذا الأثر القیّم، راجیاً من المولی العلی القدیر للجمیع قبول الأعمال والتوفیق للطاعه.

إنّه ولی التوفیق

معهد الحج و الزیاره

قسم المعارف والکلام

ص: ۷

المقدمه

يتناول هـذا الكُتيّب دراسه مفهوم (التوسّل) ، الـذى يُعتبر أحد المصـطلحات القرآنيّه: (وَ ابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِـيلَهَ) (المائده: ۳۵) ، و قد دُوّن بشكلٍ موجز، وبطريقهٍ استدلاليّهٍ، اعتماداً على القرآن الكريم والأحاديث المعتبره وآراء فطاحل علماء المسلمين، خاصّهً أهل السُنّه.

لقـد حرّرنا هـذا البحث المقتضب والأمل يحـدونا لأن يكون سـبباً لترسـيخ المودّه بين أبناء أُمّه محمّـدٍ (ص) ، ونرجو أن يقطع الطريق على المتصـيِّدين فى المـاء العكر، الـذين لا همَّ لهم سوى خلق الفتن والترويـج للخلافات بين أبناء الـدين الواحـد؛ إذ سوف نتناول فيه الآراء الصحيحه لأتباع كِلا المذهبين، ومن ثَمَّ

ص: ٨

سنوضّح ما يشوب التوسّل من ملابساتٍ وما يدور حوله من استفساراتٍ هامّه.

ص: ۹

ما هو التوسل؟ وما هى طبيعه الصله بينه وبين التوحيد؟

اشاره

التوسّل يعنى اتّخاذ شىءٍ واسطةً (وسيلةً) للوصول إلى هدفٍ محدّدٍ عادةً ما يسعى الإنسان لتحقيقه.

والوسيله تارةً تكون حسّ-يّةً وأُخرى تكون معنويّةً، وتارةً تكون إنساناً وأُخرى ليست بإنسانٍ، وتارةً تكون الله تعالى وأُخرى الأعمال الصالحه، مثل: الصلاه والصوم وسائر الأعمال الحسنه، وفى بعض الأحيان تكون الوسيله بقوّه الإراده وبإبراز المحبّه والمودّه أو ما شابه ذلك؛ إذ حسب عقيدتنا التوحيديّه، فإنّ البارئ جلّ وعلا قد خلق العالم وأتحفه بشتّى الوسائل والعلل التكوينيّه والتشريعيّه؛ لذلك يكون الاعتقاد بالوسائط للوصول

ص: ۱۰

إلى الهدف جزءاً من هذه العقيده، ولا ينفكّ عنها قطعاً، كما أنّ إنكار هذه الوسائط مُنافٍ للتوحيد الحقيقى.

فالإنسان الموحّد يعتقد أنّ المؤثّر فى العالم وخالقه واحدٌ، وسائر الوسائط وإن كانت مؤثّرةً لكنّها غير مستقلّهٍ، وإنّما اكتسبت تأثيرها من هذا الخالق العظيم، مثل: الارتواء بالماء والشبع بالغذاء والتداوى عند الطبيب. وبالطبع، فإنّ الموحِّد لا يعتقد بالتأثير المستقلّ للوسائط، ولا يعتبرها كائنهً فى مصافّ الله تعالى؛ إذ هذا الاعتقاد ينافى التوحيد، وفى نفس الوقت فإنّ إنكار هذه الوسائط وغضّ النظر عنها يتنافى مع التوحيد أيضاً.

تفصيل الموضوع

إنّ أىّ إنسانٍ يواجه شاكل ومصاعب فى حياته، ويميل بطبعه إلى البحث عن مأوىً يلجأ إليه للتخلّص من ذلك العبء الذى يثقل كاهله، وذلك من خلال بيان مشاكله ل-مَن لجأ إليه، حيث ستصبح نفسيّته بحالٍ أفضل.

فمن جههٍ، كلّما تقدم الزمان فإنّ المشاكل الروحيه والنفسيه والمادّيه تزداد على الإنسان، فيزداد عنده الشعور بضروره اللجوء

ص: ۱۱

للأُمور الروحيّه شيئاً فشيئاً، وهذا الأمر هو الذى جعل للتوسّل مكانهً خاصّهً عند البشر.

وهـذا الملجأ بطبيعه الحال يختلف باختلاف عقائـد الناس، فأحياناً يكون إنساناً مثلهم، وأحياناً يكون صـنماً أو طاغيهً، وأحياناً يلتجؤون إلى مـدبّر الأُـمور جلّ شأنه. ومن المؤكّـد أنّ العقلاء لا يلتجؤون لأىّ شـىءٍ كان، بل يجعلون مَأواهم وملتجأهم مَن بيـده زمام الأُمور، فالعقل يُدرك أنّ المخلوق الضعيف الذى لا ينفع نفسه كيف يمكنه أن يحلّ مشاكل الآخرين؟ !

ومن جهةٍ أُخرى، فـإنّ كـافّه البش-ر يتمتّعون بنفس القـدره والمسـتوى، باسـتثناء الـذين أنعم الله تعالى عليهم بقـدرهٍ خاصّهٍ، ومنحهم مكـانهً رفيعهً امتـازوا بهـا عن سـائر البش-ر، فـإنّ هؤلاـء لم ينـالوا هـذه الكرامه إلّـا بعـد خلـوص النيّه وكمـال العبوديّه، ومن ثمّ صـار باسـتطاعتهم حلّ مشاكل الآخرين المادّيه والروحيّه بإذن الله وبفيضٍ منه تعالى. فهؤلاء الأشخاص قد جعلهم الله تعالى واسطهً بينه وبين خلقه؛ إذ إنّه جلّ شأنه تارهً يبعثهم كأنبياء يحملون على عاتقهم مسؤوليّه هدايه الناس، فيخرجونهم من

ص: ۱۲

الظلمات إلى النور، بلطفٍ ربّانی ووحیٍ سماویٍّ، وتارهً یجعلهم واسطهً لطلب المغفره والتقرّب إلیه؛ وبالتأکید فإنّه لا یلیق بالتصدّی لهاذین المقامین أیّ شخصٍ کان، بل لا ینالهما إلّا مَن سمَت نفسه وعَلَت همّته، کما قال العزیز الحکیم فی قرآنه الکریم: (وَ مِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَکَ عَس-ی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً) (الإسراء: ۷۹) . فأیّ مقامٍ هو (المقام المحمود) هذا؟

من الواضح أنّ هذا المقام هو مکانهٌ معنویّهٌ رفیعهٌ أساسها القرب من الله تعالی، ولا ینالها أیّ مخلوقٍ کان.

وقال عزّ وجلّ فی آیهٍ أُخری: (وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضی) (الضحی: ۵ فالأنبیاء والأئمه (ع) لم ینالوا حقّ الشفاعه وحقّ الولایه وحقّ الطاعه، وسائر الحقوق المعنویّه، إلّا بعد أن منحهم الله تعالی المقام السامی عنده، ولولا ذلک لما کان لأحدٍ علی الآخر حقٌّ، وعلیه فقد اتّخذ الله عزّ وجلّ عدداً من خاصّه خلقه، وجعلهم وسائط لإیصال وحیه وهدایه الناس، وبالأخصّ إیصال رساله التوحید، التی تُعتبر الدعامه الأساسیّه للدین.

إذن، الاعتقاد بسموِّ مقام النبیّ (ص) والتوسّل بمقامه عند الله لا یتنافی مع عقیده التوحید، ولا یتعارض مع کون الله تعالی هو

ص: ۱۳

المرجع وال–مُلتَجأ الحقیقی عند النوائب؛ لأنّ هذا المقام هو نعمةٌ وهبةٌ من الله، وهو (عزّ شأنه) لا یهبه إلّا ل–مَن کان أهلًا له.

لا شک أنّ التوحید الصادق هو الاعتقاد بأنْ لا ملجأ ولا مأوی إلّا الله تعالی (لا إلهَ إلّا الله) ، ولکن بما أنّه (عزّ وجلّ) مُنزّهٌ عن التجسیم والصفات المادّیه، فلا بدّ من وسائط مادّیهٍ تقوم بإرشاد الناس وحلّ مشاکلهم، فلا یمکن أن یتجسّم الله تعالی للناس ویحکم بینهم بشکلٍ مباشرٍ، بل یختار منهم فرداً أو أفراداً ذوی صفاتٍ حمیدهٍ وخصالٍ تؤهّلهم لهذا الأمر، لیمنحهم المقام المحمود، ومن ثَمَّ یکونوا خلفاءه فی الأرض، ویحکموا بما ألهمهم من خلال الوحی.

ول–مّا کان العبد مکلّفاً بالانصیاع والطاعه لهذه الأحکام، فالاعتقاد بحکومه خلیفه الله، الذی هو واسطهٌ بینه وبین خالقه، یُعتبر أمراً ضروریّاً لا مناص منه، وهذا هو التوحید الحقّ، علی خلاف ما اعتقده الخوارج، أی: عدم قبول حکم أیّ حاکمٍ سوی الله تعالی؛ مستندین إلی الآیه المبارکه: (إِنِ الْحُکْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (الأنعام:۵۷) ؛ إذ قالوا: لا توجد أیّه واسطهٍ فی الحکم بین الله وبین خلقه، فعلّق الإمام علیّ (ع) علی احتجاجهم الزائف هذا قائلًا:

ص: ١۴

«كلمهُ حقٍّ يُرادُ بها باطلٌ» (١).

واستخدام الخوارج لهـذا الشـعار – فى الحقيقه – ناشـئٌ عن فهمٍ خـاطئٍ لمعنى الآيه الكريمه؛ إذ ليس من شأن الله تعالى أن يتصـدّى لمنصب الحكم بشكلٍ مباشرٍ، بل لا بدّ وأن يختار خليفه لائقاً ينوب عنه.

ويمكننا القول: إنّ أوّل انحرافٍ فى عقيده التوحيد عند المسلمين قد ابتُلى به الخوارج؛ لأنّ التوحيد الصحيح يستلزم قبول الوسائط التى نصّبها الله علينا، وليس نفيها.

فقد اعتبر الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم أنّ طاعتَه عبادهٌ، وأنّ اتّباع وإطاعه مَن سواه شركٌ، كما جاء فى الآيه الكريمه: (يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ) (مريم: ۴۴) ، ومن الواضح إنّ عباده الشيطان هنا تعنى إطاعته واتّباعه. وعلى العكس من هذا، فإنّه تعالى اعتبر فى آيهٍ أُخرى، أنّ إطاعه الرسول (ص) وأُولى الأمر هى طاعه له.

إذن، اعتبر البارئ جلّ وعلا أنّ إطاعه الوسائط هى توحيدٌ صحيحٌ، وعصيانها شركٌ، فقال: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ

١- نهج البلاغه، الخطبه رقم ۴٠.

ص: ۱۵

أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) . (النساء: ۵۹)

فالنتيجه: إنّ كلّ ولايهٍ وطاعهٍ أمرَنا الله بها، تنصبُ في طاعته تعالى وتُعتبر توحيداً صحيحاً دون أدنى شكٍّ، وكلّ طاعهٍ على خلاف طاعه الله تعالى ورسوله وأُولى الأمر تُعتبر شركاً (في الطاعه) . هذه الطاعه سواء أكانت للشيطان، أم لامرئٍ لم يُنصّب به الله تعالى، أم لأهواء النفس، أم لغير ذلك، هي باطلهٌ؛ لذلك فالواسطه، سواء أكانت في الحُكم أم في الولايه، وسواء أكانت في إيصال الرزق، أم في أيّ شيءٍ آخر، إذا كانت بإذنٍ منه تعالى فالاعتقاد بها توحيدٌ، وإلّا فإنّ الاعتقاد بها شركٌ.

ص: ۱۶

ص: ۱۷

الوسائط فی عال–َمی التکوین والتشریع

إنّ الوسائط تارةً یکون لها وجودٌ خارجیٌّ فی عالم التکوین، وأُخری تکون فی عالم التش–ریع ونقل أحکام الدین والوحی؛ فالملائکه هم وسائطٌ بین الله تعالی وبین عباده فی عالمی التکوین والتش–ریع، مثلاً فی قبض الأرواح قال تعالی: (حَتَّی إِذا جاءَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) (الأنعام: ۶۱) ، وکذلک هم وسائطٌ فی إیصال الرزق للناس.

وکان بعض الأنبیاء أیضاً مؤثّرین فی عالم التکوین - بإذن الله تعالی - کما هو الحال بالنسبه للنبیّ عیسی (ع) : (وَ أُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللهِ) (آل عمران: ۴۹) . فأنبیاء الله هم وسائطٌ، مُهمّتهم إیصال الوحی وتعالیم الدین للبش–ر، وإنکار

ص: ۱۸

هذه الوسائط فی التکوین والتشریع یُعتبر مخالفاً لما جاء فی القرآن الکریم. فالتوحید الصادق هو أن یقبل الموحِّد کلّ شیءٍ أقرّه دین الله تعالی ویعتبره توحیداً، ویرفض کلّ ما سواه ویعتبره شرکاً.

ومن الجدیر بالذکر أنّ الاعتقاد بالوسائط، حسب مبادئ التوحید الصادق، لا یستلزم الشرک مطلقاً؛ لأنّ هذه الوسائط لا تتمتّع باستقلالٍ بذاتها، وکلّ ما لدیها هو من الله تعالی؛ إذ لا یُنظر إلیها کوجودٍ مستقلٍّ دون مؤثّرٍ، فلو اعتُبرت مستقّلةً فی التأثیر، لأصبح الاعتقاد بها شرکاً، حتّی وإن کانت هذه الواسطه هی النبیّ محمّد (ص) .

وقد نفی أتباع بعض المذاهب أیَّ نوعٍ من الوسائط استناداً لهذه النظره الأخیره، واعتبروها شرکاً، ولکن حسب ما ذکرنا من تفاصیل، یتّضح أنّ الفهم الذی تمخّض عنه رأی هؤلاء، هو فی الحقیقه خاطئٌ ومخالفٌ للقرآن الکریم ولسنّه الرسول (ص) والأئمه (ع) وسیرتهم؛ لأنّ القرآن الکریم خصّ بالشرک کافّه الذین ترکوا عباده الله قبل الإسلام، واتّخذوا لأنفسهم آلههً - مثل الأصنام التی صنعوها بأیدیهم - وجعلوها وسائط بینهم وبین الله، وقاموا بعبادتها، حیث إنّهم اختاروا وسائط لا نفع لها و

ص: ۱۹

لا ضرر، دون إذنٍ من الله تعالی.

لذا، فإنّ ادّعاء البعض بکون أفعال وعقائد المسلمین، باحترام وإجلال مراقد الرسول وأهل بیته وصحابته وسائر أولیاء الله تعالی، شِرکاً، أو فی بعض الأحیان یُقارنوها مع أفعال مشرکی صدر الإسلام، هو ادّعاءٌ باطلٌ، ومقارنتهم هذه لا وجه لها، ولا یقتنع بها أیّ عاقلٍ؛ لأنّ کلّ مسلمٍ لا- یعبد أحداً سوی الله تعالی، وإنّما یزور أضرحه أنبیاء وأولیاء الله حبّاً بهم واحتراماً لهم؛ إذ وهبهم ربّ العالمین مقاماً محموداً ومکانهً رفیعهً، وکرّمهم بالشفاعه لسائر خلقه، فیقصدهم الخلق طلباً لحلّ المشاکل، من خلال وساطتهم إلی الله تعالی.

أفهل یُعتبر طلبُ العباد حلّ مشاکلهم من أشخاصٍ رفعهم الله تعالی مقاماً محموداً وأذِن لهم بذلک، شرکاً؟ !

فی الحقیقه لیس هناک مسلمٌ یعتقد أنّ هذا الفعل یُنافی التوحید الخالص، إذ کما أنّ صحابه الرسول (ص) وأتباعه کانوا یجعلونه واسطهً بینهم وبین الله تعالی عندما کان حیّاً، فبعد رحیله یمکن أن نجعله واسطهً أیضاً، وإنکار هذا الأمر لا دلیل علیه.

ومن الواضح أنّ الإنسان عندما یرید أن یحصل علی منزلهٍ عالیهٍ

ص: ۲۰

وقربٍ من الله تعالی، علیه أن ینال ذلک بواسطه أعماله الصالحه وعقائده الصحیحه، فالأعمال الصالحه تتجلّی فی الصلاه والصوم والحجّ وسائر العبادات، التی من شأنها أن تقرّبه إلی خالقه، وکذلک فتوحیده الخالص وتصدیقه بنبوّه الرسول (ص) ، ومحبّته لأهل البیت (ع) ، هی أُمورٌ لها تأثیرٌ بالغٌ فی تقرّبه إلی الله تعالی.

ومن الأعمال التی لها دَورٌ مشهودٌ فی التقرّب إلی الله، المواظبه علی الدعاء وطلب المراد منه تعالی، ولا شکَّ فإنّ مجرّد التوسّل بغیر الله لا یُعتبر شرکاً، بل التوسّل الذی یُعتبر شرکاً هو ما کان دون إذنٍ من الله، أو رجاء شخصٍ بموازاته تعالی، والاعتقاد بتأثیره المستقلّ، وإلّا فإنّ جمیع المسلمین یطلبون العون من غیر الله تعالی عند الشدائد المادّیه والنفسیّه، ولا أحد یستطیع القول: إنّهم مشرکون.

رُویَ عن رسول الله (ص) قوله: «مَن أصبح لا یهتمُّ بأُمور المسلمین فلیس منهم، ومَن سمع رجلًا ینادی" یا لَلمسلمین "فلم یُجبه فلیس بمسلمٍ» (۱). أَلا یُعتبر طلب الغوث والمدد من المسلمین

۱- اصول الکافی، ج۲، ص۱۶۴.

ص: ۲۱

طلباً من غير الله تعالى؟ ! وهل أنّ الطلب من الميّت شـركٌ؟ ! فلماذا يُعتبر الطلب من الميّت شـركاً؟ وما هو المعيار فى كون الطلب من الميّت شـركاً؟ هل أنّه شـركٌ لأنّ الإنسان عند فناء جسده المادّى يصبح عاجزاً عن إدراك شـىءٍ؟ أو لأنّه اتّخذ واسطةً غير الله تعالى فيكون فعله شركاً؟

من المؤكّد أنّ الإنسان لا يفنى بموته، ولا يوجد مسلمٌ يعتقد بهذا الشىء، بل إنّ صريح القرآن والأحاديث يؤكّد أنّ الإنسان بعد موته يبدأ حياةً جديدةً، ويصبح إدراكه للأُمور أكثر من الأحياء.

فهل يمكن القول: إنّ الأموات لا يسـمعون كلامنا؟ ! أفَلا تنصّ الأحاديث التى يرويها المحدّثون - شيعةً وسنّةً - على استحباب السلام على أهـل القبور عنـد زيارتها؛ لأنّ أهلها يسـمعون سـلامنا؟ ! أَلا نُسـلّم على النبىّ (ص) كلّ يومٍ فى صـلواتنا؟ ! أَلم يُخاطب رسولُ الله (ص) قتلى المشـركين فى حرب بـدرٍ قائلاً: ذوقـوا الآـن مـا كنتم تُنكرون؟ ! أَلم يُجب رسـول الله (ص) الـذين سـألوه هـل أنّ الموتى يفهمون؟ قائلًا: نعم، إنّهم يفهمون أفضل منكم؟ ! (۱)

۱- مجمع الزوائد، ج۶، ص۹۱، بيروت، دار الكتب العلميه.

ص: ۲۲

أَلم یذکر القرآن الکریم أنّ الشـهداء أحیاءٌ عند ربّهم یُرزقون؟ ! فهل یا تُری أنّ مقام الأنبیاء والأئمه عند الله أدنی من مقام الشـهداء؟ ! أَلا توصل الملائکه سلامنا إلی النبیّ والأئمه؟ !

فی الحقیقه إنّ الموتی، وخـاصّهً الأنبیـاء والأـئمه (ع) ، یُـدرکون الأُمور فی عالم البرزخ أکثر من الأحیاء، بل إنّهم یُحیطون بها بشـکلٍ أوسعَ بلطفٍ وکرامهٍ من الله سبحانه وتعالی.

أوَ لیس الأنبیاء والأولیاء فی عالم البرزخ یدعون الله تعالی؟ ! أَلا یستطیع الأنبیاء والأئمه أن یدعوا لأُمّتهم فی عالم البرزخ؟ !

فإنّ کلّ مسـلم یؤمن بمنزله الرسول والأئمه عند الله تعالی، وعنده یقینٌ بالحیاه بعد الموت، سوف یکون جوابه: (نعم، إنّهم یسـتطیعون أن یدعوا لأُمّتهم) . فهل أنّ مناجاه هؤلاء الصـلحاء یُعتبر شرکاً؟ ! فإذا کانت مناجاتهم وهم أموات شرکاً، فمناجاتهم عندما کانوا أحیاءً شرکٌ أیضاً؛ لأنّ الذین توسّلوا بهم آنذاک قد اتّخذوا غیرَ الله واسطهً لأنفسهم! فی الوقت الذی لایدّعی فیه أحدٌ أنّ هذا الفعل شرکٌ؛ إذ الش-رک هو التوسّل بحیٍّ أو بغیر حیّ بشکلٍ مستقلٍّ وفی موازاه الله تعالی.

إذن، لیس المعیار فی الشرک هو الموت أو الحیاه، بل المعیار فیه

ص: ۲۳

اتّخاذ الإنسان معبوداً یلتجئ إلیه إلی جانب الله تعالی؛ لذا، لا یجوز الاتّکاء علی الذوق فی تعیین مصداق الش-رک ونسبته إلی شخصٍ أو طائفهٍ ما، بل لا بدّ من الاعتماد علی معیارٍ صحیحٍ، وهو الاستناد إلی الآیات والروایات التی لا شکّ فیها ولا خللٍ، وکذلک الأخذ بنظر الاعتبار أعمال المسلمین، التی هی قطعاً تطابق التوحید وتخالف الشرک.

فإذا ادّعی شخصٌ: أنّ معیار الشرک هو اتّخاذ واسطهٍ، وبما أنّکم جعلتم النبیّ (ص) والأئمه (ع) وسائط، فقد أشرکتم.

نقول: إنّ جواب هذا الادّعاء قد تمّ توضیحه فیما سبق، وقلنا: إنّ مجرّد اتّخاذ واسطهٍ لیس بش-رک، فالله تعالی قد جعل الأنبیاء وسائط بینه وبین خلقه، لذلک إذا کانت الواسطه بحدّ ذاتها شرکاً، فهذا النوع من الشرک قد أمر الله تعالی به، فالوسائط إنّما تکون شرکاً عندما تُتَّخذ دون إذنٍ من الله تعالی، ویجعلها العبد آلههً.

ومن العجیب أنّ البعض یرفضون التوسّل جملهً وتفصیلاً! ولکن ما هو دلیلهم علی رفض الواسطه بین الله تعالی وبین خلقه؟ ففی النظام الکونی الذی نحن فیه، هل نری شیئاً غیر

ص: ۲۴

الوسائط؟ ! إذ إنّ أصل النظام الکونی مُبتنٍ علی الأسباب والمسبّبات؛ أَلیس الأنبیاء وسائط بین الله وبین عباده؟ ! أَلیس ملائکه الحیاه والموت هم وسائط بین الله وبین الخلق؟ ! أَلیس العوامل الطبیعیّه وغیرها وسائط؟ ! أَلیس الطبیب هو واسطه لشفاء المرضی؟ ! أَلیس الماء واسطه لرفع العطش، والطعام واسطه لرفع الجوع؟ ! أَلیس الشمس واسطه لتزویدنا بالنور، والنار واسطه للإحراق؟ ! وما إلی ذلک الکثیر.

إذن، من وجهه نظر الإنسان الموحّد، واستناداً لحقیقه التوحید الصادق، فإنّ الوسائط لیست إلّا وسائل خلقها الله تعالی، وجعل علی عاتق کلّ واحدهٍ منها مهمّهً أو مهمّاتٍ تؤدّیها بإذنه.

والآیات المبارکه من قبیل: (فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) (الجن: ۱۸) لا تدلّ علی إنکار هذه الوسائط البتّه، بل تشیر إلی أنّ المؤثّر الوحید فی الکون هو الله تعالی، ولیس هناک مؤثر مستقلٌّ حقیقیٌّ غیره. وإن اعتقدت أیّها الإنسان بوجود مؤثّرٍ مستقلٍ غیره تعالی فأنت مشرکٌ؛ لأنّ اعتقادک هذا ینافی التوحید.

فالإنسان الموحّد لا یعتبر الوسائط مستقلّهً، بل یری أنّ الأثر

ص: ۲۵

الناشئ عنها هو بإذنٍ من الخالق البارئ، کما کان عیسی (ع) یُحیی الموتی، وکما یعالج الطبیب المرضی، وکما یرفع الماء العطش، بإذنٍ منه تعالی.

فالکعبه الم-شرّفه، والحجر الأسود، والسعی بین الصفا والمروه، وکلّ ما فی مکّه، تنال احترام وتقدیس المسلمین؛ إذ إنّهم یولّون وجوههم نحو الکعبه فی صلواتهم ودعائهم، فمن المؤکّد أنّ معبودهم لیس الحجر والتراب الذی بُنی منه بیت الله الحرام، أو المکان الذی یتّجهون نحوه؛ لأنّ هذا المکان وما فیه لیس سوی علاماتٍ وآیاتٍ یتّخذوها ذریعهً للتقرّب من الله تعالی، کما هو الحال عندما سجد الملائکه لآدم.

لذلک، عندما یکون الحجر أو المکان علامهً علی تقرّب العبد لربّه، وواسطهً لذلک، أَوَلیس من الأولی حینها أن یکون رسول هذا الربّ، وموفده إلی عباده، علامهً وواسطهً للتقرّب إلیه تعالی؟!

إذن، فلا ضیرَ من اتّخاذ واسطه، سواء أَکانت إنساناً أم دعاءً أم عملاً، ولا فرق فی کون هذا الإنسان حیّاً أو میّتاً. ولکن إن اعتقد العبد باستقلال هذه الوسائط فی التأثیر بذاتها، فالأمر

ص: ۲۶

حینها یصبح مختلفاً، ویتحوّل إلی شرکٍ. فالاعتقاد بأنّ الله تعالی قد خلقها لقضاء حوائجنا، وأنعم بها علینا، کوسائط نستفیض منها فحسب، لا ـ ینافی التوحید بوجهٍ، والتوسّل بالقرآن وبأسماء الله وبالصلاه وبالحجّ هو عین التوحید؛ لأنّه استجابه لأمر الخالق الواحد الأحد، وهذا التوسّل هو السبیل الذی یجب علینا أن نسلکه لنکون موحّدین؛ وبالتالی فالتوسّل بالقرآن الناطق وبأسماء الله فی الأرض، أی: محمّد وعلیّ وذرّیتهما، الذین هم أطهر عباد الله فی الأرض ومرآه العمل الصالح، هو التوحید الخالص بکلّ معنی الکلمه، وإنکار هذا التوسّل واعتباره باطلاً، هو عین الشرک ونقضٌ للتوحید، بل إنّه انحرافٌ فکریٌّ وزللٌ عقائدیٌّ.

ونکرّر ما ذکرناه سابقاً ونقول: إنّ معیار الشرک هو الاعتقاد بمخلوقٍ وتقدیسه، باعتباره فی مصافّ الله تعالی وموازاته، وإلّا فسوف لا نجد موحّداً علی وجه الأرض البتّه، وحتّی الذین یدّعون أنّ الاعتقاد بکلّ واسطهٍ هو شرکٌ، سوف یکونون مشرکین قطعاً حینها؛ لأنّهم یعتقدون بالوسائط کما أشرنا إلیه أعلاه.

ص: ۲۷

من الجـدیر بالـذکر أنّنا نلاحظ الیوم تیّاراً فکریّاً بین أهل السـنّه، یتمثّل بأشـخاصٍ یُخالفون سـیره العظام من أسـلافهم وعلمائهم، حیث یقومون بنش-ر کُتبٍ یتعرّضون فیهـا للزیـاره والتوسّـل، بینما الحقیقه هی أنّ علماء أهل السـنّه قـد وقفوا بوجه أمثال هؤلاء، بل اعتبروا التوسّل أمراً جائزاً ولا ینافی الشرع.

ولکی تتّضـح الصوره لک عزیزی القارئ بشـکلٍ أفضل، نوثّق المسأله ببعض أقوال علماء أهل السـنّه، فیتبیّن حینها تضادّ آرائهم مع ما یـدّعیه المشـکّکون، ونترک الحکم لـک، قـال تعـالی فی کتـابه الکریم: (. . . فَبَشِّ-رْ عِبادِ * الَّذِینَ یَسْـتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَـنَهُ) (الزمر:۱۷و۱۸) .

ص: ۲۸

ص: ۲۹

التوسل من وجهه نظر مفكّرى الشيعه والسنه

اشاره

وجهه نظر علماء الشيعه بالنسبه للتوسّل واضحهٌ؛ إذ إنّهم يجوّزون ذلك دون خلافٍ، بشرط أن يكون التوحيد خالصاً من كلّ شائبهٍ، ولا ـ ينسب فيه العبد للمُتوَسَّل به تأثيراً مستقلاً عن الله تعالى. وعلماء إِخواننا السنّه على هذا الرأى أيضاً، بالرغم من أنّ صانعى الفِتن والمصفّقين للخلافات بين المسلمين - خاصّهً الوهّابيّين - قد جنّدوا كافّه طاقاتهم ليجعلوا ما اتّفق عليه الفريقان أمراً مُختَلَفاً فيه. ومن أجل أن تتّضح هذه الحقائق، سوف نسلّط الضوء على مجموعهٍ من آراء علماء أهل السنّه

فيما يلى.

ص: ۳۰

آراء علماء قريتى ديوبند وبريله الهنديّتين

ينقسم مسلمو شبه القارّه الهنديّه عقائديّاً إلى فرقتين أساسيّتين، وكلاهما من أتباع المذهب الحنفى، وهما:

۱- الفرقه الديوبنديّه.

۲- الفرقه البريلويّه.

سُمّيت الفرقه الثّانيه بهـذا الاسم نسبهً إلى قريه (بريله) فى الهنـد، وقد أسّسـها وتزعّمها المولى (أحمد رضا خان) ، وأُطلق على أتباعها اسم (البريلويّين) .

وأمّا الفرقه الأُولى فقـد سُـمّيت بهذا الاسم نسبهً إلى قريه (ديوبند) فى الهند أيضاً، حيث تأسّـست فيها (دار العلوم الإسـلاميّه) ، وأُطلق على أتباعها اسم (الديوبنديّين) .

كانت هاتان الفرقتان فى بادئ الأمر متقاربتين إلى حـدٍّ ما، ولكن بمرور الزمان نشأت بينهما اختلافاتٌ عقائديّهٌ عديدهٌ، وتفاقمت للحدّ الـذى وصل فيه الحال اليوم إلى أنّ الديوبنديّين يعتبرون البريلويّين مش-ركين، والبريلويّون بدروهم يعتبرون الديوبنديّين وهّابيّين، إذ تدور بينهم نقاشات محتدمه.

وأمّا بالنسبه لانتشار الفرقه الديوبنديّه، فيجدر بنا القول: إنّ

ص: ۳۱

أغلب علماء أهل السنّه فی باكستان والهند وإيران هم من أتباع هذه الفرقه.

ونشير هنا إلى بعض عقائد البريلويّين، مثل: الاعتقاد بعلم الغيب، كون رسول الله (ص) هو مفتاح الغيب، كونه (ص) حاضراً وشاهداً، كونه (ص) نوراً، طلب الفيض من أولياء الله الصالحين، الطواف بقبور أولياء الله الصالحين، وغير ذلك.

بعد انتشار الفكر الوهّابی فی بلاد الحجاز، امتدّ نفوذ الوهّابيّين إلى بعض البلدان الإسلاميّه، ومن ضمنها شبه القارّه الهنديّه. فعندما أُسقط حكم الأشراف وأُخرجوا من الحرمين - بمساندهٍ من العثمانيّين والوهّابيّين - كتب أحمد رضا خان رسالهً إلى علماء الحرمين - آنذاك - ليُطلعهم فيها على أنّ الديوبنديّين فی الحقيقه وهّابيّون، حيث ذكر فيها سبعين مؤاخذهً عليهم، وأفتى بكفرهم.

ورداً على هذه الرساله، بعث الديوبنديّون إلى علماء الحرمين رسالهً اعتبروا فيها كلام أحمد رضا خان افتراءً، وادّعَوا أنّهم من أتباع مذهب الشيخ الأعظم ومن مقلّديه، وليسوا بوهّابيّين، وأجابوا على سته وعشرين سؤالاً عقائديّاً، فأيّد علماء الحرمين

ص: ۳۲

هذه الرساله. وقد طُبعت هذه الرساله تحت عنوان (المهنَّد على المفنِّد) .

ويُعتبر كتاب (المهنَّد على المفنِّد) من أفضل الكتابات العقائديّه عند أهل السنّه؛ إذ يُبيّن آراءهم ومعتقداتهم بشكلٍ واضحٍ وصريح. فالجدل والنزاع الذى حصل بين هاتين الفرقتين، قد كان سبباً لأن يقوم كلٌّ منهما ببيان وجهات نظره العقائديّه والبراءه علناً من الفكر الوهّابى. ويمكن الاطّلاع على تفاصيل آراء وعقائد هاتين الفرقتين فى هذا الكتاب ل–مَن أراد المزيد، كما أنّ أحد علماء السنّه فى مدينه (جابهار) ترجم هذا الكتاب إلى اللّغه الفارسيّه.

مُقتطفات من كتاب المهنَّد على المفنِّد

جواباً على السؤال الذى يقول: هل يجوز التوسّل برسول الله (ص) بعد وفاته عند الدّعاء؟ جاء فى هذا الكتاب ما يلى:

عندنا وعند مشايخنا، يجوز التوسّل فى الدعوات بالأنبياء والصالحين من الأولياء والشهداء والصِّدّيقين، فى حياتهم

ص: ۳۳

وبعد وفاتهم، بأنْ يقول فى دعائه: اللّهُم إنّى أتوسّل إليك بفلان أنْ تُجيب دعوَتى، وتقضى حاجتى، إلى غير ذلك. كما صرّح به شيخنا ومولانا الشاه محمّد إسحاق الدهلوى، وبيّنه فى فتاواه شيخنا ومولانا رشيد أحمد الكنكوهى. . . . وهذا الرأى قد ذُكر فى بعض الروايات أيضاً.

ولا نرى بأساً من أن نُشير إلى بعض عقائد أهل السنّه، التى تمّ بيانها بشكلٍ واضحٍ فى هذا الكتاب، كما يلى:

۱- تُعتبر زياره قبر رسول الله (ص) من أعظم درجات التقرّب إلى الله تعالى، وأكثر الأعمال ثواباً، للدرجه التى يمكن القول: إنّها قريبه من الواجب؛ لـذلك فإنّ مَن قصد المدينه المنوّره لزياره قبر رسول الله (ص) دون أىّ دافعٍ آخر، يستحقّ شفاعته (صلوات الله عليه) ، فقد قال الرسول (ص) فى حقّه: «مَن جاءنى زائراً ليس له حاجهٌ إلّا زيارتى، كان حقّاً عَلَيَّ أنْ أكونَ له شفيعاً يومَ القيامه» . (۱)

۱- أخرجه الحافظ أبو على سعيد بن عثمان بن السكن البغدادى، المتوفى بمصر سنه ۳۵۳هفى كتابه (السُنن الصِّحاح) ؛ المعجم الكبير، ج۱۲، ص۲۲۵، ح۱۳۱۴۹؛ مجمع الزوائد، ج۴، ص۲؛ الصلات والبشر، ص۱۴۲؛ الدرّ المنثور، ج۱، ص۵۶۹؛ كنز العمّال، ج۱۲، ص۲۵۶ ح۳۴۹۲۸.

ص: ۳۴

۲- إنّ الأرض التى تحتضن جسد رسول الله (ص) هى الأفضل على الإطلاق، حتّى أنّها أفضل من العرش والكرسى.

۳- يجوز للعبد أن يقف أمام قبر الرسول (ص) ويقول: يا رسول الله، اشفع لى. أو يقول: أتوسّل بك لأموت مسلماً.

۴- روى أبو هريره عن رسول الله (ص) قوله: إنّ النبىّ عيسى (ع) ينزل من السماء، ويؤدّى مناسك الحجّ، ويأتى قبرى ويسلّم علىَّ وأنا أردّ السلام عليه. ومن الطبيعى أنّه لا يمكن ردّ السلام إلّا عندما يسمعه ال-مُجيب، فيُجيب عليه.

۵- جميع الأنبياء أحياء فى قبورهم بأجسادهم المادّيه كما كانوا فى عالم الدنيا، ويقومون بأداء عباداتهم كالصلاه والصيام؛ لذلك قال البعض بعدم جواز تقسيم تركاتهم، وبعدم صحّه الزواج من نسائهم بعد موتهم.

ويرى علماء ومشايخ أهل السنّه أفضليه الوقوف أمام وجه رسول الله (ص) المبارك عند الزياره والدعاء.

۶- نُقل عن فطاحل علماء الديوبنديّه أنّ رسول الله۹ حىٌّ فى قبره، وهو يسمع السلام عن قربٍ وعن بُعدٍ، إذ تنقل له الملائكه سلام مَن كان بعيداً عنه، وكذلك فإنّ أعمال أُمّته تُعرض عليه

ص: ۳۵

بواسطه الملائكه.

وما نسمعه اليوم من كون السلام والصلاه على روح النبىّ (ص) لا يصل إليه، هو خلاف إجماع الأُمّه. (۱)

أقوال بعض علماء السُنّه

قال نور الدين السمهودى:

إنّ طلب العون والشفاعه من النبىّ، أو التوسّل إلى الله بجاه النبىّ وشخصه جائزٌ، قبل أنْ يولد وبعد ولادته ووفاته، وفى عالم البرزخ وفى يوم القيامه. (۲)

قال الدكتور عبد الملك السعدى:

إذا قلت: اللّهم إنّى توسّلتُ إليكَ بجاهِ فلان، لنبىٍّ أو صالحٍ، فهذا أيضاً ممّا ينبغى أن لا يحصلَ بجوازه خلافٌ؛ لأنّ الجاهَ ليس له ذات ال-مُتوسَّل به، بل مكانتُه ومرتبتُه عند الله، وهى حصيله الأعمال الصالحه؛ لأنّ الله تعالى قال عن موسى (عليه الصلاه والسلام) : (وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) (الأحزاب: ۶۹) .

۱- كتاب المهنَّد على المفنِّد.

۲- وفاء الوفاء، ج۴، ص۱۳۷۲.

ص: ۳۶

قال القسطلانى: حرىٌّ بزائر رسول الله أن يُكثر من الزياره والدعاء والتض-رّع والاستغاثه، وطلب الشفاعه والتوسّل بذات رسول الله (ص) المقدّسه. (۱)

ويقول الزرقانى فى شرح هذا الكلام: «يجب التوسّل بالنبىّ؛ لأنّ التوسّل به يُزيل جبالاً من الذنوب» .

وقال ابن الحاج أبو عبيد الله العبدرى المالكى:

فإنْ كانَ الميِّتُ ال-مُزارُ مِمَّن تُرجى بَركتُهُ، فَيُتوَسَّلُ إلى الله تعالى بهِ، وكَذلك يَتوسَّلُ الزَّائرُ بِمَنْ يَراهُ الميِّتُ مِمَّنْ تُرجى بَركتُهُ إلَى النبىِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، بل يبدأ بالتَّوسُّلِ إلى الله تعالى بالنبىِّ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ، إذْ هو العُمدَه فى التَّوسُّلِ. (۲)

قال الحسن بن علىّ السقّاف الشافعى:

إنّ التوسّل والاستغاثه وطلب الشفاعه من سيّد الخلق محمّد النبىّ ونور الظلمات، من المستحبّات التى أُكّد عليها بشدّه، خاصّهً عند الضيق. وكانت سيره العلماء العاملين والأولياء المتهجّدين وكبار المحدّثين وأئمه السلف على هذا.

۱- البدعه فى مفهومها الإسلامى، ص۴۵.

۲- المدخل، ج۱، ص۲۵۴.

ص: ۳۷

کما أنّ النوویّ ذکر استحباب التوسّل فی بعض کتبه. (۱)

ودوّن الغماری فی مقدّمه کتابه ما یلی: «إنّ استحباب التوسّل فی المذهب الشافعی والمذاهب الأُخری (الحنبلیّه والحنفیّه والمالکیّه) هو مقبولٌ» . (۲)

کما نقل ابن حجر المکّی بیتین من أشعار الشافعی التی یتوسّل فیها بأهل بیت النبیّ (ع) :

آلُ النبیّ ذریعتی

وذکر زینی دحلان: مَن تتبّع أذکار السلف وأدعیتهم وأورادهم، یجد فیها الکثیر من التوسّل بالذوات المقدّسه، ولم یعترض علیهم أحدٌ، إلی أن جاء المنکرون (الوهّابیّون) .

وإذا أردنا جمع نماذج من التوسّل، فیجب علینا أن نؤلّف

۱- حاشیه الإیضاح علی المناسک، ص۴۵۰ و ۴۹۸؛ شرح المهذّب (المجموع) ، ج۸، ص۲۷۴؛ شرح الأذکار، باب أذکار الحجّ، ص۳۰۷.

۲- الغماری، مقدّمه إرغام المبتدع الغبیّ بجواز التوسّل بالنبیّ.

ص: ۳۸

كتاباً عظيماً. (۱)

وقال العلّامه الأمينى فى التوسّل:

وأمّا الاستغاثه والنداء والانقطاع وما أشار إليها، فلا تعدو أن تكون توسّلًا بهم إلى المولى سبحانه، واتّخاذهم وسائل إلى نجاح طلباتهم عنده جلّت عظمتُه؛ لقربهم منه، وزلفتهم إليه، ومكانتهم عنده؛ لأنّهم عبادٌ مكرمون، لا لأنَّ لذواتهم القدسيّه دخلًا فى إنجاح المقاصد أوّلاً وبالذّات، لكنّهم مجارى الفيض وحلقات الوصل، ووسائطُ بين المولى وعبيده [كما هو الشأن فى كلّ متقرّب من عظيم يُتوسّل به إليه]، وهذا حكمٌ عامٌّ للأولياء والصالحين جميعاً، وإنْ كانوا متفاوتين فى مراحل القرب، كلّ هذا مع العقيده الثابته بأنّه لا مؤثّر فى الوجود إلّا الله سبحانه، ولا تقع فى المشاهد المقدّسه كلّها من وفود الزائرين إلّا ما ذكرناه من التوسّل، فأين هذه من مضاده التوحيد؟ ! (۲) .

۱- زينى دحلان، الدرر السنيه، ص۳۱.

۲- الغدير، ج۳، ص۴۰۳.

ص: ۳۹

التوسل بالنبى (ص) فى حياته البرزخيه

إنّ عقيـده المسـلمين تجوّز بـل ترجّح التوسّـل بالنبىّ وهو فى حياته البرزخيّه. ولكنّ الوهّابيّين يخالفون هـذه العقيـده، ويـدّعون حرمه وعدم جواز ذلك!

لقـد اسـتند الوهّابيّون فى رأيهم هـذا، ومعظم آرائهم الأُخرى، على أفكار ابن تيميّه، الـذى يُعتبر من أبرز المخالفين للتوسّل، فهو يقول فى التوسّل:

طلب الـدعاء من الغير، حياً كان أو ميّتاً، وإنْ قلتَ: هذا إذا دعا الله أجاب دعاءَه أعظم ممّا يجيبه إذا دعوته، فهذا هو القسم الثّانى، وهو أن لا تطلب منه الفعل ولا تدعوه، ولكن تطلب أن يدعو لك كما تقول للحىّ: ادع لى، وكما كان الصحابه

ص: ۴۰

رضوان الله علیهم یطلبون من النبیّ (ص) الـدعاء، فهـذا مشـروع فی الحیّ کمـا تقـدّم، وأمّا المیّت من الأنبیاء والصالحین وغیرهم، فلم یُشـرَّع لنـا أن نقول: ادع لنـا، ولاـ اسـأل لنا ربَّک، ولم یفعل هـذا أحـدٌ من الصّحابه والتّابعین، ولا أمر به أحـدٌ من الأئمه، ولا ورد فیه حدیثٍ. (۱)

فی الحقیقه أنّ ما وضّحناه سابقاً یبیّن بطلان هذا الرأی وعدم صوابه؛ إذ إنّ الروایات وحتّی الآیات تشیر إلی جواز التوسّل وصحّته بعد الموت، وکنّا قد ذکرنا بعض الأقوال فی هذا المضمار، وسنشیر هنا إلی بعض الآیات والروایات:

۱- قال تعالی: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِیماً. (النساء: ۶۴)

۲- ذکر الله تعـالی فی کتـابه الکریم کیف توسّـل أبناء یعقوب بأبیهم لکی یسـتغفر لهم بسـبب ما ارتکبوه من إثم، إذ قال: قالُوا یا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا کُنَّا خاطِئِینَ) (یوسف: ۹۷) . فقد خاطب أُخوه یوسف أباهم ب- (یا) النداء، لذلک فإنّ رأیً مَن یقول بعدم

۱- زیاره القبور، صص۲۴ - ۲۵.

ص: ۴۱

جواز دعاء غیر الله، هو کلامٌ مردودٌ.

إضـافهً لـذلک، فقـد جعلوا أبـاهم واسـطهً بینهم وبین الله عزّ وجلّ، ولو کان اتّخاذ الواسـطه ممنوعاً، لتوجّب علی النبیّ یعقوب (ع) أن یردعهم عن فعل ذلک، وأن یطلب منهم دعاء الله وطلب المغفره منه دون واسطه؛ کما یفعله الیوم بعض الوهّابیّین ومَن تأثّر بأفکارهم!

قـد یـدّعی البعض أنّ هذه الآیه تدلّ علی جواز التوسّل فی زمان رسولنا الکریم (ص) دون زماننا، ولکنّ هذا الادّعاء عارٍ عن الصـحّه؛ إذ لا دلیل علیه؛ لأنّه یمکن أن یسـری إلی جمیع الآیات، حتّی تلک التی تشـمل الأحکام والعقائـد، أی: أنّ محتواها حسب هذا الرأی سیکون مرتبطاً بعهد الرسول فحسب، ولا یمکن تعمیمه لسائر العهود، والحقیقه أنّه لا یمکن لأحدٍ ادّعاء هذا الأمر مطلقاً.

إضافهً إلی ذلک، فما هو الدلیل الذی یمکن الاعتماد علیه لإثبات هذا ال-مُدّعی؟ فیا تُری، هل توجد لدینا آیات أو روایات تشیر إلی جواز التوسّل بالحیّ وعدم جوازه بالمیّت؟ وهل أنّ معیار الشرک والتوحید یکمن فی جواز التوسّل وعدمه؟ أو أنّ

ص: ۴۲

معيارهما هو كون ال–مُتَوسَل به حيّاً أو ميّتاً؟ فإذا كان هذا هو المعيار الحقيقى، سيكون التوسّل بالحىّ فى جميع الأحوال صحيحاً ولا شائبه فيه، حتّى إذا اعتُبِر هـذا الحىّ مستقلاً وفى مصافّ الله تعالى، فى الوقت الذى لا يؤمن أىّ مسلمٍ بهذه العقيده الباطله، بل يعتبرها جميع المسلمين أنّها شركٌ صريح.

علاوه على هـذا فبعد إتمام الاستدلال وبيان القصد، سوف يكون بالإمكان تعميم صحّه التوسّل حتّى بعد وفاه ال–مُتوَسَّل بهم؛ إذ إنّ الإنسان فى كلّ زمانٍ وفى جميع الأحوال يمكن أن يرتكب المعاصى، لذا فهو يحتاج إلى وسيلهٍ يجعلها واسطهً لطلب المغفره من الله عزّ وجلّ.

ومن هذا ال–مُنطَلق، فإنّ الصحابه كانوا يسألون الرسول (ص) بعد وفاته أن يستغفر الله لهم، تمسّكاً بفحوى هذه الآيه المباركه. وهذا الأمر من شأنه أن يُثبت لنا حقيقه الحياه البرزخيّه، والصله الموجوده بينها وبين الحياه الدنيا.

يذكُر البيهقى وابن أبى شيبه ما يلى:

أصاب الناسَ قحطٌ فى زمن عمر، فجاء الصحابى بلال بن الحرث إلى قبر النبىّ (ص) ، فقال: يا رسول الله، استسقِ

ص: ۴۳

لأُمّتك، فإنّهم قد هلكوا. فأتى رسولُ الله الرجلَ فى المنام، فقال له: إنّكم مسقيّون. (۱)

وقال الإمام علىّ (ع) :

إنّ رجلاً دخل المدينه بعد وفاه رسول الله۹ بثلاثه أيّام ورمى بنفسه على قبره ومسح بالتراب على رأسه، وقال: يا رسول الله، إنّك قلت عن الله ونحن سمعنا قولك وأطعناه، ومن قولك الآيه التى نزلت عليك: (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ) (النساء: ۶۴) ؛ فقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى. فجاءه نداء من داخل القبر: قد غُفِر لك. (۲)

أدلّه على جواز التوسّل

إضافهً لما ذكرنا من أدلّهٍ على صحّه التوسّل، فلا نرى بأساً من أن نذكر أدلّهً أُخرى تؤيّد ذلك:

۱- زينى دحلان، الدّرر السنيه، ص ۱۸.

۲- الروض الفائق، ص ۳۸۰؛ وفاء الوفاء، ج ۴، ص ۱۳۹۹؛ المواهب اللدنيّه، ج ۴، ص۵۸۳؛ صالح الأخوان، ص ۵۴۰؛ مشارق الأنوار، ج۱، ص ۱۲۱.

ص: ۴۴

۱- کتب العلّامه السمهودی:

بعـد أن دفن رسول الله (ص) فاطمه بنت أسـد، قال: الله الـذی یُحیی ویُمیت. . . اغفر لأُمّی فاطمه بنت أسد، ووسّع علیها مدخلها، بحقّ نبیّک والأنبیاء الذین من قبلی. (۱)فقـد دعا رسول الله (ص) لهذه السیّده العفیفه لأنّها کانت رؤوفهً به فی أیّام طفولته، فردّ لها الجمیل باحترامٍ وتقدیرٍ، ونزّلها منزله أُمّه.

۲- نقل محدّثا أهل السنّه المعروفان (الترمذی وابن ماجه) عن عثمان بن حُنیف قوله:

إنَّ رجُلًا ضَرِیرَ البصَرِ أتی النبیَّ (ص) ، فقالَ: ادْعُ الله أنْ یُعافِیَنی.

قَالَ (ص) : إنْ شِئْتَ دَعَوتُ، وإنْ شِئتَ صَبَرتَ، فَهُوَ خَیرٌ لکَ.

قالَ: فَادعُهُ.

فـأمَرَهُ أنْ یتوضَّأ فیُحْسِنَ وضُوءَهُ، ویـدعُوَ بهـذا الـدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إنِّی أسألُـکَ وأتوجَّهُ إلیکَ بنبیِّکَ محمَّدٍ نبیَّ الرَّحمهِ، إنِّی توجَّهتُ بکَ إلی ربِّی فی حاجتی هذه لتُقضـَی لی، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِیَّ. (۲)

۱- وفاء الوفاء، ج ۳، ص ۸۸۹.

۲- سنن الترمذی، کتاب الدعوات، الباب ۱۱۸؛ سنن ابن ماجه، کتاب إقامه الصلاه والسنّه، الباب ۱۸۹.

ص: ۴۵

نستلهم من هذه الروایه أنّ التوسّل برسول الله (ص) وطلب العون منه لیس مشروعاً فحسب، بل مستحبٌّ، ولا یختصّ فی زمان حیاته.

ولو کان التوسّل غیر جائزٍ، لما سمح به صلوات الله علیه، ولنهی عنه، ولرُبّما اعترض علی هذا الرجل الضریر وقال له: لماذا جئتنی؟ ! اذهب وادعُ ربّک دون أن تجعلنی واسطهً فی دعائک؛ لأنّک إن طلبت من غیر الله شیئاً، فأنت مشرکٌ!

ولکنّ الحقیقه أنّ النبیّ (ص) لم ینهر الرجل عن التوسّل به أبداً، بل علّمه کیفیّه التوسّل، ودون شکٍّ فإنّ هذا التوسّل الوارد عن النبیّ (ص) – لسان الغیب ومعلّم الشریعه – جائزٌ بعد وفاته أیضاً؛ إذ لا دلیل علی عدم جوازه سوی التعصّب، والجهل بحقیقه التوحید الخالص.

۳- روی الطبرانی فی المعجم الکبیر حدیثاً صحیح السند عن عثمان بن حُنیف، وهو:

إنّ رجلاً کان یختلفُ إلی عثمان بن عفّان فی حاجهٍ له، فکان عثمان لا یلتفت إلیه ولا ینظُر فی حاجته، فلقیَ ابنَ حُنیف فشکا ذلک إلیه، فقال له عثمان بن حُنیف: ائت المیضأه

ص: ۴۶

فتوضّأ، ثُمّ ائت المسجد فصلِّ فیه رکعتین، ثُمّ قُل: «اللّهم إنّی أسألُک وأتوجّه إلیک بنبیّنا محمّدٍ (ص) ، نبیّ الرحمه، یا محمّد إنّی أتوجّه بک إلی ربّی فتقضی لی حاجتی» ، وتذکُر حاجتَک. ورُح حتّی أروح معک. فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثُمّ أتی باب عثمان بن عفّان، فجاء البوّاب حتّی أخذ بیده فأدخله علی عثمان بن عفان، فأجلسه معه علی الطنفسه، فقال: [ما] حاجتک؟ فذکر حاجته، وقضاها له، ثُمّ قال له: ما ذکرتَ حاجتک حتّی کان الساعهُ، وقال: ما کانت لک من حاجهٍ فاذکرها، ثُمَّ إنّ الرجل خرج من عنده، فلقی عثمان ابن حُنیف فقال له: جزاک الله خیراً، ما کان ینظر فی حاجتی ولا یلتفت إلیّ حتّی کلّمتَه فِیَّ.

فقال عثمان بن حُنیف: واللهِ ما کلّمتُه، ولکنّی شهدتُ رسولَ الله (ص) ، وأتاه ضریرٌ فشکا إلیه ذهاب بص-ره، فقال له النبیّ (ص) : فتصبر، فقال: یا رسول الله، لیس لی قائدٌ وقد شُقَّ علَیَّ، فقال النبیّ (ص) : ائت المیضأه فتوضأ، ثُمّ صلّ رکعتین، ثُمّ ادع بهذه الدعوات. قال ابن حُنیف: فو الله، ما تفرّقنا

ص: ۴۷

وطال بنا الحدیث، حتّی دخل علینا الرجل کأن لم یکن به ضرٌّ قطّ.

نقـل هـذا الحـدیث جمعٌ غفیرٌ من علمـاء أهـل السـنّه، من بینهم: الحاکم النیسابوری (۱)، ابن عبـد البرّ (۲)، أبو نعیم الاصـفهانی (۳)، الذهبی (۴)، الحافظ الهیثمی (۵)، المتّقی الهندی (۶)وغیرهم.

۴- روی الحاکم النیسابوری فی المستدرک:

لـمّا اقترف آدم الخطیئه، قال: یا ربِّ، أسألُک بحقِّ محمّدٍ لما غفرتَ لی.

فقال الله: یا آدم، وکیف عرفتَ محمّداً ولم أخلقه؟

قال: یا ربِّ، لأنّکَ لـمّا خلقتنی بیدک، ونفخت فِیَّ مِن روحِک، رفعتُ رأسی، فرأیتُ علی قوائم العرش مکتوباً: لا إله إلّا الله،

۱- المستدرک علی الصحیحین، ج ۳، ص ۱۰۸.

۲- الإصابه، ج ۴، ص ۳۸۲.

۳- حلیه الأولیاء، ج ۳، ص ۱۲۱.

۴- سِیَر أعلام النُبلاء، ج ۲، ص ۱۱۸، رقم ۷.

۵- مجمع الزوائد، ج ۹، ص ۲۵۶.

۶- کنز العمّال، ج ۱۳، ص ۶۳۶، ج ۸، ص ۳۷۶.

ص: ۴۸

محمّدٌ رسولُ الله، فعلمتُ أنّك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك.

فقال الله: صدقتَ يا آدم، إنّه لأحبّ الخلق إليّ. ادعنى بحقّه، فقد غفرتُ لك، ولولا محمّد ما خلقتك. (۱)

۵- روى أحمد بن حنبل أنّ مسروقاً قال لعائشه:

أُقسم عليك بصاحب هذا القبر إلّا ما أخبرتنى بما قاله رسول الله عن الخوارج، فقالت عائشه: سمعت رسول الله يقول: «إنّهم شرّ الخلقِ والخليقهِ، يقتلُهم خيرُ الخلقِ والخليقهِ، وأقربُهم عندَ اللهِ وسيلهً» . (۲)

۶- نقل الدارمى فى سُنَنِهِ عن أبى الجوزاء، أوس بن عبد الله، ما يلى:

قُحِطَ أَهْلُ المَدينهِ قَحطاً شديداً، فَشَكَوا إلى عائِشهَ، فقالتْ: انظُرُوا قبْرَ النبيِّ (ص) ، فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوىً إلى السَّماءِ، حتَّى لا يكونَ بَيْنَهُ وبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ، قال: فَفَعَلُوا؛ فَمُطِرْنَا مَطَراً

۱- المستدرك على الصحيحين، ج ۲، ص ۶۱۵.

۲- مسند أحمد، ج ۱، ص ۱۴۰.

ص: ۴۹

حَتَّی نَبَتَ العُشْبُ، وَسَمِنَتِ الإِبِلُ حَتَّی تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ، فَسُمِّیَ عَامَ الْفَتْقِ. (۱)

بما أنّ (سعید بن زید) هو أحد رجال هذا الحدیث، فإنّه لا یتّفق مع عقیده (الألبانی) ؛ لذلک حاول تضعیفه، بینما نلاحظ أنّ سعید هذا یُعتبر من رجال (صحیح مسلم) الموثّقین، کما وثّقه یحیی بن معین، کذلک وثّقه البخاری وابن سعد والعجلی وأبو زرعه وأبو جعفر الدارمی، وعددٌ کبیرٌ من علماء أهل السنّه. (۲)

۷- ذکر القسطلانی أنّ رجلًا وقف قرب قبر رسول الله (ص) وقال:

إلهی، قد أمرتنا بعتق العبید، وهذا حبیبُک وأنا عبدُک، فأسألُک بحقّ نبیّک أن تعتقنی من نار جهنّم، فجاءه هاتفٌ: یا رجل، لماذا طلبت العتق من جهنّم لنفسک فقط ولم تطلبه لجمیع المؤمنین؟ ! اذهب فقد عُتِقت. (۳)

۱- سنن الدارمی، ج ۱، ص ۴۳.

۲- تهذیب التهذیب، ج ۴، ص ۲۹.

۳- المواهب اللدنیّه، القسطلانی، ج ۴، ص ۵۸۴.

ص: ۵۰

ص: ۵۱

المنع من التوسل، بدعهٌ أُمويه

نقل الحاكم النيسابورى بإسناده عن داود بن أبى صالح أنّه قال:

أقبلَ مروان يوماً فوجد رجلًا واضعاً وجهه على القبر – قبر رسول الله –، فأخذَ برقبته، وقال: أتدرى ما تصنع؟ !

قال: نعم.

فأقبل عليه، فإذا هو أبو أيّوب الأنصارى.

فقال: جئتُ رسولَ الله (ص) ولم آت الحجرَ، سمعتُ رسولَ الله (ص) يقول: لا تبكوا على الدّين إذا وليه أهلُه، ولكن ابكوا عليه إذا وليَهُ غيرُ أهلِه. (۱)

۱- المستدرك على الصحيحين، ج۴، ص ۵۶۰، الحديث ۸۵۷۱؛ شفاء السقام، ص۱۵۲؛ وفاء الوفاء، ج۴، صص۱۳۵۳ و۱۴۰۴؛ مجمع الزوائد، ج۴، ص۲.

ص: ۵۲

إنّ مـا ذُكر سابقـاً، ليس سوى جانبٍ من الآيات والروايات، ومُقتضبٍ من أقوال بعض فطاحل علماء أهل السـنّه فيما يخصّ (التوسّل) ، إذ إنّها حُججٌ على أتباع جميع المذاهب الإسلاميّه، وأدلّهٌ بيّنهٌ على جواز التوسّل، وإنْ تنصّل البعض من هذه الحقائق الدامغه ورفضوها عناداً.

وممّـا لا ـ ريب فيه أنّ الشـارع المقـدّس لو كـان قـد صـرّح بعـدم جواز التوسّـل بـالميّت بنصٍّ شـرعيٍّ، لالتزمنا بحكمه، ولم نتجرّأ على مخالفته، ولكنّ الواقع خلاف ذلك؛ إذ إنّ الشارع لم ينهَ عنه مطلقاً، بل إنّه قد جوّزه كما مرّ.

لو تصوّرنا أنّ الـذين أنكروا التوسّل بأرواح الأنبياء والأئمه (ع) ، واقفون أمام الله تعالى فى يوم الحساب، وقـد سألهم عن دليلهم الـذى اعتمدوا عليه من الآيات والروايات فيما ادّعَوه، فهل باستطاعتهم الجواب؟ !

إذن من الضـرورى أن نجعل القرآن الكريم والسـنّه النبويّه وآراء فطاحل العلماء معايير نستند عليها، فى معرفه صحّه أو سقم عقيدهٍ ما، وفى نفس الوقت، فإنّ الذين لا إلمام دقيق لديهم

ص: ۵۳

بهـذه الأُمور، لا يجـدر بهم أن يخوضوا غمار هذه الأبحاث الدقيقه؛ لأنّ الانحراف فيها ذو نتائج سـلبيّهٍ لا تُحمد عُقباها، ويتوجّب على الباحثين من أهل السـنّه أن لا يخلطوا بين معتقـدات بعض المذاهب، وبين معتقدات الآخرين وآرائهم الفقهيّه، كما يتوجّب على علماء أهل السـنّه ومفكّريهم، المطّلعين على المبانى الحقيقيّه لمذهبهم، أن لا يسـمحوا للّذين لا اطّلاع لهم ولا معرفه دقيقه بمبادئ المذهب، أن يتدخّلوا فى القضايا الدينيّه الهامّه، فقد قال الفقيه الحنفى (ابن عابدين) : لا يمكن لعالمٍ مفكّرٍ أو مجتهدٍ أن يكفّر مسلماً.

ص: ۵۴

ص: ۵۵

أسئله تنتظر الرد من منكرى التوسل

اشاره

إذا كنتم تعتقدون أنّ التوسّل فعلٌ غير شرعيٍّ، أو بدعهٌ أو شركٌ، فيجب عليكم حينها أن تُقرّوا بما يلى، وتجيبوا على الأسئله التاليه:

۱- أن تعتبروا الكثير من الرعيل الأوّل لعلماء أهل السنّه، الذين أرسَوا دعائم المذهب، بأنّهم مش-ركين؛ كونهم جوّزوا التوسّل، فهل تُقرّون بذلك؟ !

۲- أن تعتبروا الصحابه الذين كانوا يتوسّلون بالرسول (ص) مش-ركين! أَوَلم يتوسّل أبو أيّوب الأنصارى بقبر الرسول (ص) ؟ ! أَوَلم يتوسّل عمر بن الخطّاب بعمّ الرسول (ص) ؟ !

۳- إذا كان التوسّل شركاً، لماذا جاء فى القرآن الكريم أنّ أبناء

ص: ۵۶

يعقوب توسّلوا بأبيهم، وجعلوه واسطةً ليغفر الله ذنوبَهم؟ ! إذن، حسب رأيكم، فإنّ القرآن قد أمر ب- (الشرك) - والعياذ بالله -!

۴- إذا كان التوسّل شـركاً، لماذا لم ينهَر رسولُ الله (ص) المـذنبين الـذين كانوا يتوسّـلون به؟ ! ولماذا لم يطلب منهم أن يتوسّـلوا بالله تعالى مباشرةً دون اللجوء إليه؟ !

۵- إذا كـان التوسّل شـركاً، لماذا التجأَ الصـحابى بلال بن الحرث إلى مرقـد رسول الله (ص) وطلب منه الاستسـقاء، ولم يـدع الله دون الاعتماد على الرسول (ص) ؟ !

۶- إذا كـان التوسّـل غير جـائزٍ، لمـاذا أقسم رسول الله (ص) على ربّ العالمين بحقّ أنبيائه السابقين، وبحقّ نبوّته، أن يغفر لفاطمه بنت أسد عندما دفنها؟ !

۷- إذا كان التوسّل بدعةً، لماذا سمح رسول الله (ص) للرجل الض-ريرَ بالتوسّل به كى يُبصرَ؟ ! فالحقيقه - وكما تعلمون - أنّ رسول الله (ص) لم يردعه، بل علّمه دعاءً يتوسّل فيه بذاته الطاهره، ويطلب شفاعته من الله تعالى، كما مرّ سابقاً.

۸- إذا كان التوسّل شركاً، لماذا توسّل أبو البشر آدم (ع) بنبيّنا الكريم قبل خلقته، طلباً لمغفره الله؟ !

ص: ۵۷

۹- إذا كان التوسّل غير جائزٍ، لماذا طلبت عائشه من الناس أن يتوجّهوا لمرقد رسول الله (ص) ويتوسّلوا به، عندما جاؤوها يشكون من القحط الذى حلّ بهم؟ !

۱۰- إذا كان التوسّل شركاً، لماذا توسّل بعض عظماء علماء أهل السنّه بمرقد الإمام الرضا (ع) ؟ ! كابن حبّان الذى قال: عندما تنتابنى مشكله، أتوجّه إلى مرقد الإمام الرضا (ع) ، وأدعو الله أن يرفعها عنّى، وكلّ ما فعلت ذلك، قُضيَت حاجتى. (۱)

۱۱- إذا كان التوسّل شركاً، فكيف يجوّزه فطاحل علماء المذاهب الإسلاميّه ويوصون به؟ ! كما أسلفنا فى هذا البحث.

۱۲- إذا كان مجرّد التوسّل وطلب العون من غير الله تعالى شركاً، فهل بإمكاننا أن نجد موحّداً على وجه البسيطه؟ ! فكلّ إنسانٍ فى هذا العالَم له حاجات لا يستطيع نيلها بنفسه، إذ إنّه يحتاج إلى غيره للحصول عليها، وبالتأكيد فإنّ طلب العون من غير الله تعالى والتوسّل به فى هذه الحاله لا يُعتبر شركاً؛ لكن حسب رأيكم هو شركٌ!

۱- الثقات، ج۸ ص۴۵۷، حيدر آباد، مؤسسه الكتب الثقافيه.

ص: ۵۸

۱۳- إذا كـان التوسّـل واتّخـاذ واسـطهٍ شـركاً، فلا يوجـد فيه فرقٌ بين الحىّ والميّت، لأنّ المعيار فى التوحيـد والشـرك هو الاعتقاد بكون المتوسَّل به ذا تأثيرٍ مستقلٍّ أو غير مستقلٍّ، بالنسبه لله تعالى، ولا عبره بكونه حيّاً أو ميّتاً، فهل لديكم رأىٌ فى هذا المجال؟ ! فمن وجهه نظر التوحيـد الخـالص، أنّ الإنسـان لا يَفنى بعـد الموت، بل على العكس من ذلك، فهو فى الحياه البرزخيّه يكون أكثر إدراكاً للحقائق.

يقول الإمام الغزالى: «مَن كان يُقصد لطلب المدد فى حياته، فبالإمكان طلب المدد منه بعد وفاته» .

۱۴- إذا كنتم تعتبرون إجلال وتقـديس مراقـد الأنبياء والأئمه (ع) ، والتعبير عن المحبّه لهم شـركاً وعبادهً لغير الله تعالى، فحينها يكون إجلال وتقديس الوالدين، والأُستاذ، ومَن لهم حقٌّ فى رقابنا، شركاً كذلك! أَليس هذا ما يترتّب على رأيكم؟ !

قـال تعالى فى كتابه الحكيم: (وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الـذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ) . (الإسـراء:۲۴) إذن، يتّضـح لنا أنّ الإجلال والتقديس للآخرين ليس بشركٍ، ولا يوجد مسلمٌ يؤمن بهذا الرأى؛ لأنّه لو كان شركاً، لمَا أمر به عزّ وجلّ.

ص: ۵۹

۱۵- إذا کان التوسّل غیر جائزٍ، لماذا توسّل الإمام الشافعی بأهل البیت (ع) ؟ !

۱۶- إذا کان التوسّل شرکاً، لماذا توسّل الإمام الشافعی بقبر أبی حنیفه؟ !

ذکر ابن حجر أنّ الإمام الشافعی عندما کان فی بغداد، کان یقصد ضریح أبی حنیفه ویزوره، ثُمّ یتوسّل به لقضاء حوائجه. (۱)

۱۷- هل یا تُری أنّ عدم العلم بکیفیّه التوسّل یکون وازعاً لإنکاره ونقضه جملهً وتفصیلاً؟ !

فالتوسّل فی الحقیقه علی عدّه أقسامٍ:

أ - نتوسّل بالله تعالی بحقّ أنبیائه وأولیائه الصالحین أن یُعیننا.

ب - نتوسّل بالأنبیاء وبالأولیاء الصالحین أن یُعینوننا بفضل مکانتهم وقُربهم من الله جلّ شأنه.

ج - نتوسّل بالأنبیاء وبالأولیاء الصالحین أن یحلّوا مشاکلنا.

أمّا بالنسبه للفقرتین الأُولی والثّانیه، فلا یوجد أدنی شکٍّ فی مطابقتهما للتوحید وعدم التعارض معه، ومَن یُنکرهما إمّا

۱- شواهد الحقّ، ص ۲۴.

ص: ۶۰

مُغرضٌ، وإمّا جاهلٌ.

وأمّا بالنسبه للفقره الثّالثه، ففیها وجهان:

الأوّل: إن اعتقد المتوسِّل أنّ الأنبیاء والأولیاء الصالحین مستقلّون بالتأثیر إلی جانب الله تعالی، فهو قطعاً شرکٌ ومنهیٌّ عنه.

الثّانی: إن اعتقد المتوسِّل أنّ الله تعالی قد کرّم أنبیاءه وأولیاءه الصالحین بمنزلهٍ رفیعهٍ، وأذِن لهم بالشفاعه وقضاء حوائج الناس، فلا یختلف هذا الأمر عن الفقرتین ألف وباء، ولا یتعارض مع التوحید بوجهٍ.

إذن، التوسّل – وکما أسلفنا – یکون باطلاً فی حالهٍ واحدهٍ، وهی الاعتقاد باستقلال المتوسَّل به بالتأثیر. ولکن یا ترُی، هل من الصحیح أن ننفی کلّ أشکال التوسّل ونبطلها، من أجل بطلان قسمٍ واحدٍ، ونعتبره شرکاً دون مبرّرٍ مُعتبرٍ؟ ! وهل أنّ مجرّد عدم العلم بحقیقه التوسّل، یصحّ أن یکون سبباً لنقض أمرٍ روحیٍّ یحتلّ مکانهً مرموقهً بین عقائد المسلمین، وخاصّهً الشباب الذین هم بأمسّ الحاجه للأُمور الروحیّه والمعنویّه، التی من شأنها أن تصونهم من الانجرار وراء الانحرافات التی تُهدّد

ص: ۶۱

مجتمعاتنا قاطبهً؟ !

۱۸- لقد صرّح رسول الله (ص) أنّ «الأعمال بالنیّاتِ» (۱). فهل یا تُری باستطاعه شخص أن یحمل عمل مسلمٍ علی الکفر لمجرّد عدم علمه بنیّته؟ ! ألَم یوصینا دیننا بحمل عمل المسلم علی الصحّه؟ ! أو أنّ رأیکم خلاف هذا؟ !

۱۹- إذا کان التوسّل والاستعانه بغیر الله تعالی شرکاً أو بدعهً، لماذا لم یرفض النبیّ موسی (ع) طلب قومه عندما توسّلوا به وجعلوه واسطهً بینهم وبین الله؟ ! فلو کان التوسّل شرکاً، لقال لهم موسی (ع) لقد أشرکتم فی طلبکم هذا! فقد قال تعالی فی کتابه الحکیم: (وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَیْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا یا مُوسَی ادْعُ لَنا رَبَّکَ بِما عَهِدَ عِنْدَکَ لَئِنْ کَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَکَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَکَ بَنِی إِسْرائِیلَ) . (الأعراف: ۱۳۴)

إذن، یتّضح لنا أنّ طلبهم من نبیّ الله لا یتعارض مع التوحید، ولا یُستَشمّ منه الشرک مطلقاً؛ لأنّ نبیّهم جاءهم بعهدٍ من ربّه القدیر، مُتمثّلٍ برساله التوحید التی جعلته نبیّاً وولیّاً من

۱- صحیح بخاری، ج۱، ص۲.

ص: ۶۲

الصالحین، فتوسّلوا به لرفع الکَرب والبلاء عنهم. وهذا بالفعل ما طلبه بنو إسرائیل منه، إذ توسّلوا به، وجعلوه واسطةً بینهم وبین الله لکی یُستجاب دعاؤهم بفضله ومنزلته.

لذلک، إنْ حلّ بلاءٌ بشخصٍ ما، فلا یمکن لأحدٍ أن یُزیله عنه سوی الله تعالی، أو مَن عهد له بنبوّهٍ أو ولایهٍ خصّه بها.

۲۰- إذا کان التوسّل والاستغاثه بغیر الله تعالی شرکاً، لماذا کان أتباع موسی (ع) یتوسّلون به دائماً عندما تحلّ بهم النوائب؟ ! فقد کان النبیّ موسی (ع) یتمتّع بقدرهٍ عظیمهٍ وشجاعهٍ خصّه الله تعالی بها، لذلک عندما رأی رجلاً من أنصاره یتشاجر مع عدوّه، لم یتردّد فی نصرته عندما استغاث به، وأعانه، حتّی أنّه قتل عدوّه، حیث ذُکرت هذه القصّه فی القرآن الکریم: (فَاسْتَغاثَهُ الَّذِی مِنْ شِیعَتِهِ عَلَی الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ فَوَکَزَهُ مُوسی فَقَض-ی عَلَیْهِ) . (القصص: ۱۵)

۲۱- یدّعی الوهّابیّون أنّ خاتم الأنبیاء (ص) لا یسمع کلامنا بعد وفاته!

إذا کان الحال حقّاً کما یدّعون، فلماذا تُسلّمون علیه بعد التشهّد فی کلّ صلاه، وتقولون: (السّلامُ علیکَ أیّها النبیُّ ورحمهُ اللهِ وبرکاتُه) ؟ !

ص: ۶۳

۲۲- إذا کان الأموات لا یسـمعون کلامنا، فما فائده السلام علیهم، حسب ما ذکرت الروایات؟ ! فقد ذکر مسلم فی صحیحه: أنّ رسول الله (ص) طلب من عائشه أن تستغفر لأهل البقیع، وتقول: «السلامُ علی أهلِ الدیارِ من المؤمنینَ والمسلمینَ، ویرحمُ اللهُ المستقدمینَ منَّا والمستأخرینَ، وإنّا إن شاءَ اللهُ بکُم للاحقونَ» . (۱)

۲۳- إنّکم عندما تُصرّون علی أنّ المیّت لا یسمع شیئاً بعد الموت، ألا تُخالفون صریح الروایات التی جاءت فی صحیح البخاری وغیره من کتب الحدیث؟ ! فمن هذه الروایات أنّ الرسول (ص) قال: «إنّ المیّت یسمع خفقَ النعال» . (۲)

۲۴- إذا کان الأموات لا یسـمعون شیئاً، لماذا خاطب رسول الله (ص) قتلی المشرکین فی موقعه (بدر) ؟ ! قائلاً: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَکُمْ رَبُّکُمْ حَقًّا؟ !

قَالَ مُوسَی: قَالَ نَافِعٌ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: قَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: یَا

۱- صحیح مسلم، ج ۲، ص ۶۶۹، باب ما یقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

۲- صحیح البخاری، کتاب الجنائز، باب المیّت یسمع خفق النعال.

ص: ۶۴

رَسُولَ الله، تُنَادِی نَاساً أَمْوَاتاً؟ ! قَالَ رَسُولُ اللهِ (ص) : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا قُلْتُ مِنْهُمْ. (۱)

فهل یا تُری أنّ المشرکین یسمعون کلام الأحیاء بعد الموت، ورسول الله (ص) لا یسمع کلام أُمّته؟ !

۲۵- یقول الوهّابیّون: إنّ بناء القبور والأضرحه والقبب بدعهٌ وحرامٌ؛ لذلک یجب تخریبها! إذن، لماذا لا یُخرّبون قبّه وضریح النبیّ (ص) فی المدینه المنوّره؟ !

۲۶- إذا کان بناء القبّه والضریح بدعهٌ وحرامٌ، لماذا شُیّدت أضرحهٌ وقببٌ لعلماء أهل السنّه، من أمثال أبی حنیفه والشافعی؟ ! فهل یا تُری أنّ جمیع علماء أهل السنّه، الذین تعاقبوا علی مرّ التاریخ ولم یُخرّبوا هذه الأضرحه، هم من أهل البدعه والمحرّمات؟ ! ومَن الذی شیّد تلک الأضرحه؟ أَلیس أهل السنّه أنفسهم قاموا بذلک؟ ! فعلی أیّ دلیلٍ استندوا عندما بنَوا تلک القبور؟ !

۲۷- إذا کان معیار الشرک هو مجرّد طلب العون من غیر الله

۱- صحیح البخاری، کتاب المغازی، باب قتل أبی جهل.

ص: ۶۵

تعالی، فهل حینها یتوجّب علینا أن نجتنب کافّه الأسباب الظاهریّه فی العالم؟ ! فقد قال تعالی فی کتابه الکریم: (أَ فَرَأَیْتُمْ ما تَحْرُثُونَ * أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) . (الواقعه: ۶۳ و ۶۴) فعلی رأیکم یکون الزارع هو الله عزّ وجلّ؛ لـذلک یتوجّب علی النـاس أن لا یحرثوا الأرض، ولا یسقوها، ولا یُعیروها أیّه أهمیّه؛ لأنّ الخالق قد سلب القدره علی الزراعه منهم واختصّها لنفسه! لکنّ الحقیقه هی أنّه تعالی منح خلقَه أسباباً ووسائل یعتمدون علیها فی حیاتهم.

لـذلک فنحن نقول: إنّ اتّخاذ الأسباب التی جعلها الله تعالی وسیلهً فی الحیاه الـدنیا لنیل المقاصـد، لا یخالف التوحیـد ولا یتنافی معه مطلقاً. وکذلک فإنّ عباده الصالحین قد خصّهم عزّ شأنه بکرامهٍ، وجعلهم وسائط بینه وبین خلقه، ومکانتهم هذه تقتض-ی أن یکونوا مقاصـد لطلب المراد وطلب العون؛ لأنّ القـدره الـتی منحهـا لهم بـارئهم، هی أعظم من قـدره الأسـباب الظـاهریّه فی عـالم الوجـود، واستخدامهم لهذه القدره لا یُنافی التوحید بوجهٍ، بل مکمّل له.

۲۸- لو فرضنا أنّ شخصاً قصد النبیّ عیسی (ع) وخاطبه: یا

ص: ۶۶

مَن تـدّعی مقـام النبوّه، احیی هـذا المیّت، أو اجعل من هـذا الطین کائناً حیّاً، أو اجعل هـذا الضـریر مُبصـراً، فهل أنّ هـذا الشـخص قد أشـرک بربّه بسـبب طلبه هـذا؟ ! وقـد قـال تعالی فی سوره آل عمران: (أَنِّی قَـدْ جِئْتُکُمْ بِآیَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَهِ الطَّیْرِ فَأَنْفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اللهِ وَ أُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللهِ) . (آل عمران: ۴۹)

فالحقیقه أنّ أنبیاء الله تعالی وأولیاءه الصالحین یتمتّعون بقـدرهٍ أفاضـها ربّ العرش العظیم علیهم، حیث یفتقر لها سائر عباد الله؛ لذلک فإنّهم بلا ریب مصدر الفیض القدسی، وحُجَج الله علینا. وبما أنّ التوسّل بالأسباب الظاهریّه التی سخّرها تعالی للبشر - وسائل العیش - لا یُعتبر شرکاً، کذلک فإنّ التوسّل وطلب المدد والعون من مصادر فیض قدرته عزّ وجلّ - أنبیائه وأولیائه - لیس بشرکٍ أبداً.

إنّ مـا ذکرنـا من اسـتفساراتٍ وأسـئلهٍ لیست سوی غیضٍ من فیضٍ، وهنـاک الکثیر من الأسـئله التی یمکن أن نسـتوحیها من الروایات والتاریـخ، ونطرحها علی منکری التوسّل، إلّا أنّنا نکتفی بهـذا القـدر. ومن الجدیر بالذکر أنّ معظم الأسـئله التی طرحناها مسـتوحاه من الروایـات والمصـادر الأساسـیّه التی یعتمـد علیهـا الوهّـابیّون، وقـد ذکرنـا الکثیر منهـا فی متن هـذا الکتیب، وأشـرنا إلی مصادرهـا فی الهامش.

وفی الختـام نرجو من الله الهـادی أن یلتفت منکرو التوسّـل إلی مـا غفلوا عنه، بعـد أن یطالعوا هـذا الکُتیب بـدقّه وحیادیّه، وأن یجعلوا الإنصاف نُصب أعینهم.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ۸ أنظمة؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.